

أضواء البيان

@ 410 @ بَعْدَ ضَعْفٍ قُوَّةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً . وأشار إلى ذلك أيضاً بقوله : { وَمَا يُعَمَّرُ مِنْ مُعَمَّرٍ وَلَا يُنْقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ } ، وقوله في سورة المؤمن : { ثُمَّ لَنَنْكُرُوهَا شَيْخُوخًا وَمِنْكُمْ مَن يُتَوَفَّى مِنْ قَبْلُ وَلَنَنْكُرُوهَا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ } . .

وقال البخاري في صحيحه في الكلام على هذه الآية الكريمة : باب قوله تعالى : { وَمِنْكُمْ مَّن يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ } حدثنا موسى بن إسماعيل ، حدثنا هارون بن موسى أبو عبد الله الأعور ، عن شعيب ، عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يدعو (أعوذ بالله من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات) اه وعن علي رضي الله تعالى عنه : أن أرذل العمر خمس وسبعون سنة . وعن قتادة : تسعون سنة . والظاهر أنه لا تحديد له بالسنين . وإنما هو باعتبار تفاوت حال الأشخاص . فقد يكون ابن خمس وسبعين أضعف بدناً وعقلاً ، وأشد خرفاً من آخر ابن تسعين سنة ، وظاهر قول زهير في معلقته : كان يدعو (أعوذ بالله من البخل والكسل ، وأرذل العمر ، وعذاب القبر ، وفتنة الدجال ، وفتنة المحيا والممات) اه وعن علي رضي الله تعالى عنه : أن أرذل العمر خمس وسبعون سنة . وعن قتادة : تسعون سنة . والظاهر أنه لا تحديد له بالسنين . وإنما هو باعتبار تفاوت حال الأشخاص . فقد يكون ابن خمس وسبعين أضعف بدناً وعقلاً ، وأشد خرفاً من آخر ابن تسعين سنة ، وظاهر قول زهير في معلقته : % سئمت تكاليف الحياة ومن يعيش % ثمانين حولا لا أبالك يسأم % .

أن ابن الثمانين بالغ أرذل العمر ، ويدل له قول الآخر : أن ابن الثمانين بالغ أرذل العمر ، ويدل له قول الآخر : % (إن الثمانين وبلغتها % قد أحوجت سمعي إلى ترجمان) % . وقوله : { لِكَيْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ } أي يرد إلى أرذل العمر ، لأجل أن يزول ما كان يعلم من العلم أيام الشباب ، ويبقى لا يدري شيئاً . لذهاب إدراكه بسبب الخرف . والله في ذلك حكمة . .

وقال بعض العلماء : إن العلماء العاملين لا ينالهم هذا الخرف ، وضياع العلم والعقل من شدة الكبر . ويستروح لهذا المعنى من بعض التفسيرات في قوله تعالى : { ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ } . قوله تعالى : { وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي

الرِّزْقِ فَمَّا السَّادِينَ فُضِّلُوا بِرِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ
أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبِعَدْوِهِمْ يَجْحَدُونَ } . أظهر
التفسيرات في هذه الآية الكريمة : أن ا ضرب فيها مثلاً للكفار ، بأنه فضل بعض الناس على
بعض في الرزق ، ومن ذلك تفضيله المالكين على المملوكين في الرزق ، وأن المالكين لا
يرضون لأنفسهم أن يكون المملوكون شركاءهم فيما رزقهم ا من